قوائم المحتويات متاحة على ASJP المنصة الجزائرية للمجلات العلمية
الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية
الصفحة الرئيسية للمجلة: www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/552

التاريخ التوراتي وإشكالات المنهج
"مقاربات في تاريخ اليهود القديم"

Biblical history and problematics of the method "Approaches in the ancient Jews history "

أ. أحمد رقاد [1] ، * ، أ.د. بلقاسم رحماني [2]
[1] جامعة حسيبة بن بوعلي -الشلف، مخبر تاريخ الإنسان والعمران والتراث في منطقة حوض الشلف، الجزائر
[2] جامعة أبو القاسم سعد الله (الجزائر 02)، قسم التاريخ، الجزائر.

Key words:
biblical history
archeology
Hebrew
Palestine
Old Testament.

Abstract

The cognitive and scientific revolutions of the 19th and 20th centuries brought with them major methodological that affected the the human sciences, including the methods of history, particularly Biblical one, which is now going through a severe curriculum crisis. Because of the close relationship between the mythical biblical text and Jewish ideology. The political factors certainly played a crucial role in rebuilding the imagined past of ancient Israel by reference to the forged texts of the Old Testament. Biblical theological studies have been involved in the process of writing and falsifying history since ancient times.

It can be said that Biblical history was written in accordance to the vision of the Zionist movement to justify the presence of the Jewish people on the land of Palestine and in the absence of scientific justifications ; Jewish academic studies fell into the trap of biblical theological studies that produced major epistemological crises. There is systematic use of archaeology by Jews and coordination between government and academic departments to document archaeological research related on the Old Testament, in order to guide and support traditional Biblical thesis and to reject any alternative geography.

معلومات المقال
تاريخ المقال:
الإرسال :2022-06-02
القبول : 2022-11-29

الكلمات المفتاحية:
التاريخ التوراتي
الآركيولوجيا
اللغة العبرية
فلسطين
العهد القديم.

ملخص

الثورات المعرفية والعلمية التي حدثت خلال القرنين التاسع عشر والعشرين حملت في طياتها انقلابات منهجية كبرى مست العلوم الإنسانية، بما فيها مناهج علم التاريخ، وبالأخص التاريخ التوراتي، الذي يمّر الآن بأزمة منهج حادة. بسبب العلاقة الوثيقة بين النص التوراتي الأسطوري والأيديولوجية اليهودية. فمن المؤكد أن العوامل السياسية لعبت دورًا حاسمًا في إعادة بناء الماضي المتخّيل لإسرائيل القديمة بالرجوع إلى نصوص العهد القديم المزوّرة. إذ شاركت الدراسات اللاهوتية التوراتية في عملية كتابة التاريخ وتزويره منذ العصور القديمة. فأنشأت جغرافية وقصة خاصتين بالحدث التوراتي تداخلت فيها ثقافات شرقية متنوعة شّكلت مع الوقت نظرة اليهود للتاريخ. يمكن القول إن التاريخ التوراتي كتب وفق رؤية الحركة الصهيونية لتبرير وجود الشعب اليهودي على أرض فلسطين، ومع غياب المبررات العلمية سقطت الدراسات الأكاديمية اليهودية في فخ الدراسات اللاهوتية التوراتية ما أنتج أزمات إبستيمولوجية كبيرة. فهناك استخدام ممنهج لعلم الآثار (الآركيولوجيا) من قبل اليهود، وتنسيق بين الدوائر الحكومية والأكاديمية لتوثيق البحوث الأثرية المتعلقة بالعهد القديم، من أجل توجيه الأطروحات التوراتية التقليدية ودعمها ورفض أي جغرافية بديلة في وقت تعالت فيه أصوات بعض المؤرخين تندد بكتابة تاريخ من هذا النوع. وهذا المقال المتواضع، يهدف إعادة صياغة وقراءة بعض المرتكزات التي يقوم عليها تاريخ اليهود القديم ودحض الايديولوجيا التي تسوّق لها المدرسة اليهودية التوراتية.

* Corresponding author at : Faculty of Humanities and Social Science Hassiba ben bouali chlef , ALGERIA.
Email : ahmedrakad78@gmail.com

1. مقدمة

ثمّة العديد من الإشكالات المطروحة على بساط البحث في حقل العلوم الإنسانية والتاريخ بخاصة والنقطة الجوهرية والحساسة تتعلق تحديدا بتاريخ الشرق الأدنى والمنطقة العربية في الحقبة القديمة، لما للموضوع من علاقة بالحراك السياسي، القبلي، اللغوي، والديني في المنطقة العربية، وما يزيد الموضوع حساسية هو أن المنطقة كانت مهد الديانات السماوية وأرض الأنبياء والرسل. وما لذلك من علاقة بتاريخ الشعب اليهودي في المنطقة العربية منذ القديم وتداعياتها الراهنة، فموضوع البحث في تاريخ اليهود على جانب من الدقة والحساسية والمغامرة على اعتبار أنّه يقوم على منطلقات منهجية مغلوطة وعلى قوة الأسطورة، ما وضعنا أمام معوقات ابستيمولوجية معرفية تقوم على أسس إيديولوجية تربط الماضي بالراهن والتاريخ بالسياسة والمعرفة بالايدولوجيا.

يعالج هذا الطرح المتواضع علاقة الأصل التوراتي (النص التوراتي الأسطوري) بالأيديولوجية اليهودية ومناهج البحث في التاريخ اليهودي وتأثير التاريخ وعلم الآثار على مراكز اتخاذ القرار، وما ينجر عنه من إشكالات منهجية تضع الحقيقة التاريخية على المحك، بمعنى تمركز الايدولوجيا اليهودية على قاعدتي التاريخ والآثار وتوظيف هذا العلم لخدمة الأغراض السياسية، من منظور الأطروحات التوراتية، بتعبير أدّق صناعة التاريخ على أساطير ملفّقة (بالعودة إلى نصوص العهد القديم المزيّفة) من أجل تبرير الشرعية لاغتيال التاريخ واغتصاب الجغرافيا، وتبرير حقيقة السطو على أرض فلسطين عبر التاريخ ومنذ آلاف السنين.

فالأيديولوجيا اليهودية تصور الشعب اليهودي (بني إسرائيل) على أساس ديني محاط بهالة من القداسة، فهم على أساس هذا الزعم " شعب الله المحتار" (تعالى الله عما يشركون)، اختاره ليملك الأرض المقدّسة، على اعتبار أنّها الأرض الموعودة التي وعدهم الله (عزّ وجل) في كتابهم المقدس (العهد القديم)، ووصل بهم التطاول على الذات الإلهية إلى حدّ اعتبار الإله (يهوه) خاص بهم دون غيرهم، وعموما تجد هده الإيديولوجيات مبرراتها في نصوص العهد القديم (التوراة)، ويتم التسويق لها في الوقت الراهن لتبرير شرعية حق امتلاك أرض فلسطين، ويبدو أنّ الدوائر اليهودية على اختلاف توجهاتها تعمل جاهدة على تبرير هذه العملية معرفيا، فمنذ الوهلة الأولى عملت على تقديم نتائج حفرياتها الآثارية على أساس مسلمات علمية لا يشوبها الشكّ، وأنّ أيّ نتيجة علمية لا تتوافق مسبقا مع النصوص الدينية للعهد القديم مدحوضة ومرفوضة، لذلك عمل الأكاديميين اليهود على تشويه الحقائق العلمية، ما أثّر بدرجة كبيرة على نتائج الأبحاث العلمية المتعلقة بتاريخ العهد القديم (التوراة) وتاريخ اليهود. من هذا المنطلق يمكننا التساؤل: حول حقيقة التاريخ اليهودي والمنطلقات الأسطورية التي يرتكز عليها؟ وكيف تمّ بناء التاريخ التوراتي الأسطوري؟ وآليات توظيف علم الآركيولوجيا لبناء الماضي المتخيّل لإسرائيل القديمة؟ وما هي الإشكالات المنهجية والمعوقات الابستيمولوجية التي تواجه الباحث في التاريخ التوراتي؟ وهل هناك منهج بديل لدراسة التاريخ التوراتي بعيدا عن الايديولوجيا اليهودية؟

لمعالجة هذه التساؤلات وبناء بعض التصورات حددنا جملة من الفرضيات البحثية ذات الصلة بمشكلة الموضوع، يمكننا من خلالها الوقوف على جوانب الدراسة ولو بالشكل اليسير، كالإشارة إلى بعض المحطات في تاريخ اليهود، وكيف تمّ التسويق للأيديولوجيات اليهودية من خلال مناهج البحث في التاريخ التوراتي والأساطير اليهودية، وكيف استغل علماء الآثار اليهود مناهج البحث الآركيولوجي في تبرير السطو على فلسطين، من جهة أخرى حددنا جملة من النقاط التي يرتكز عليها منهج المقاربات البديل لمنهج البحث التوراتي الكلاسيكي في مهمّة نحو التأصيل الابستيمولوجي: كالمقاربة النصّية اللّغوية، المقاربة التاريخية، والمقاربة الآركيولوجية، رغم وجود جملة من المعوقات الابستيمولوجية وحددنا كأنموذجين لذلك: إشكالية اللّغة العبرية وإشكالية النصوص التوراتية.

الأنسب منهجيا لدراسة مثل هكذا مواضيع المنهج التاريخي التحليلي المقارن وإن كان يبدو للوهلة الأولى أنّ تحليل بعض القضايا الشائكة المتعلقة بتاريخ اليهود القديم ومنهجية البحث في تاريخهم تتضارب فيه المدارس والمناهج وتختلف فيه الآراء، وتتشابك فيه خيوط الإيديولوجيات، غير أنّ ذلك لا يمنعنا من الولوج في الموضوع ببعض الآراء النابعة عن قناعاتنا العقائدية والمعرفية والعلمية. بغية تحقيق بحول الله تعالى جملة من الأهداف:

- المناقشة العلمية والموضوعية لادعاءات اليهود الرامية إلى امتلاك الشرعية التاريخية في فلسطين.

- نقد المرجعية التاريخية التي تقوم عليها الإيديولوجيات اليهودية.

- نقد المناهج الأكاديمية التي تقوم عليها المدرسة اليهودية التوراتية والمرتكزة على سطوة نصوص العهد القديم.

- رصد أهم المعوقات الابستيمولوجية التي تعترض كتابة تاريخ المنطقة العربية وتشوه ماضيه خاصة ما تعلق بتاريخ الديانات السماوية وتاريخ الأنبياء عليهم السلام.

- صياغة بعض المقاربات التي تقوم عليها المدرسة النقدية الحديثة وتوضيح عيوبها.

يمكننا تحديد بعض الدراسات السابقة التي تناولت الموضوع من زوايا مختلفة، على اختلاف المدارس والمناهج والفترات الزمنية نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

- طمسن ل طوماس، في مؤلفاته: أ- الماضي الخرافي "التوراة والتاريخ".

ب- توماس، طومسون، السرد التوراتي وتاريخ فلسطين، تقديم: فيليب ديفس (عرض: زياد منى).

ج- التاريخ القديم للشعب الإسرائيلي، ترجمة صالح علي سوداح.

- إسرائيل فنكلشتاين وفيل أشر سيلبرمان، التوراة اليهودية مكشوفة على حقيقتها "رؤية جديدة لإسرائيل القديمة وأصول نصوصها المقدسة على ضوء اكتشاف علم الآثار.

- أحمد الدبش، في مؤلفاته: أ-كنعان وملوك بني إسرائيل في جزيرة العرب.

ب- موسى وفرعون في جزيرة العرب.

ج- اختطاف أورشليم. د- بحثا عن النبيّ إبراهيم.

-كيث وايتلام، اختلاق إسرائيل القديمة إسكات التاريخ الفلسطيني، ترجمة: د. سحر الهندي.

- كمال، الصليبي، التوراة جاءت من جزيرة العرب، ترجمة: عفيف الرزّاز.

- فاضل الربيعي، إسرائيل المتخيلة في مجموعة من الأجزاء.

وبناء على ما سبق نحاول معالجة إشكالية المقال انطلاقا من تحديد جملة من العناوين ذات الصلة بالموضوع، فنقول وبالله التوفيق.

2. مقاربات في تاريخ اليهود

منذ بدأ عصر النهضة في أوروبا، وبعد أن أعاد العالم الغربي اكتشاف تراثه القديم الممثل فيما خلفه الإغريق والرومان، ترددت مقولة مؤدّاها أنّ أبدع ما وصل من العالم القديم من تراث فكري، هو التراث الإغريقي من علوم وفلسفة وأساطير، إلى جانب أسفار العهد القديم المنسوبة لليهود. ولقد كانت تلك المقولة السائدة آنذاك مقولة مجحفة للشرق عامة، والشرق الأدنى القديم خاصة، والذي يضم- حسب اتفاق العلماء- كلا من: مصر وبلاد النهرين وبلاد الشام (سورية القديمة) والجزيرة العربية وفارس (إيران القديمة) والأناضول. (**عزيز**، 2006، **صفحة** 7)

يذهب بعض الدارسين إلى اعتبار جوهر الكتاب المقدس العبري (التوراة المزيّفة) عبارة عن قصّة ملحميّة، تصف بروز بني إسرائيل، وعلاقتهم المستمرة مع الله. وعلى خلاف أساطير الشرق الأدنى القديم الأخرى، مثل حكايات أوزيريس، وإيزيس، وحوروس المصرية، أو ملحمة جلجاميش في بلاد ما بين النهرين، فإنّ حكايات الكتاب المقدس العبري ذات رصيد أرضي راسخ، وتاريخ دنيوي فعلي (**سيلبرمان**، 2017، **صفحة** 32).

يشير المؤرخ اليهودي إسرائيل فنكلشتاين: أنّه على خلاف التواريخ والسجلات الملكية لأمم الشرق الأدنى القديمة الأخرى، لا يحتفي هذا الكتاب بقوة التقليد والسلالات الحاكمة فقط، بل يعرض رؤية معقدة وواضحة بالوقت نفسه، يبيّن لماذا ارتبط تاريخ شعب إسرائيل- بل تمام العالم في الواقع- بشكل مباشر مع أوامر ووعود الله. شعب إسرائيل هو الممثل المركزي في هذه الأحداث. سلوكه وتمسكه بوصايا الله هما اللذان يقرران الاتجاه الذي يسير فيه تاريخه. وهكذا يعود تقرير مصير العالم لشعب إسرائيل، ومن خلالهم، لكل قرّاء الكتاب المقدس العبري (**سيلبرمان**، 2017، **صفحة** 32).

ويبدو أنّ بعض ما أشار إليه فنكلشتاين في هذه النقطة بالأساس يحتاج إلى مزيد من التوضيح والإيضاح في بعض جوانبه.

يرى بعض الباحثين: أنّ الدّيانة اليهودية قد نشأت إبّان السبي البابلي وليس في زمن النبيّ (موسى عليه السلام) وأنّ تاريخ هذه الطائفة قد بدأ للمرة الأولى في التاريخ فقط بعد عودة المسبيّين من بابل في زمن (كورش الفارسي (وليس قبل ذلك بأية حال، وأنّ قصة وجود بني إسرائيل على أرض مصر 430 سنة ما هي إلاّ خيالا وقد تجاهلتها حتى التوراة نفسها. ولم تفلح في سرد حكاية واحدة صحيحة عنها وأن أسطورة الخروج من مصر لم تجد أيّ سند تاريخي مادي يدعمها من خارج التوراة. وأنّ المملكة الموحدة لم تكن موجودة في يوم من الأيام على أرض فلسطين وأنّ مملكتي يهوذا وإسرائيل التي تدعي الحركة الصهيونية أنها جزء من التاريخ اليهودي لم تشكلان يوما قوة سياسية يعتّد بها، ولم تقدما إسهاما حضاريا يمكن وصفه بالإسهام الإسرائيلي المتميّز بخصائص واضحة. بل كان وجودهما طيلة تاريخهما القصير كجزء من التاريخ الكنعاني وقد انتهتا تماما وصارتا إرثا وملكا للذاكرة الإنسانية جمعاء وذلك بعد تدميرهما وسبي سكانهما تباعا على يد (سرجون الثاني (الأشوري و) نبو خذ نصر (البابلي في النصف الأول من القرن الخامس ق.م (**الغني**، 2011).

وكثيرا ما تلّح الحركة الصهيونية على أن (إسرائيل الحديثة) جزء من الماضي التاريخي لدولة يهودا، ويمكننا تعريف الحركة الصهيونية بالرجوع إلى أصل الكلمة؛ فالكلمة نسبة إلى صهيون، والمفردة من الكنعانية القديمة، وهي اسم لربوة تطل على القدس. وصهيون: الجبل الجاف، أو الجبل المشمس، وقد تقال بمعنى الحصن. اتخذت ربوة صهيون موقعا منذ حوالي العام 2500 ق م ولا علاقة ليهود بصهيون، فالقدس مدينة أسسها الكنعانيون منذ الألف الرابع قبل الميلاد، والصهيونية بوصفها حركة سياسية ذات أبعاد دينية، وأنّ مشروعها يقوم على مزاعم دينية، منها أنّ عودة المسيح ستكون بعد معركة هرمجدون، ويجب أن يسبق ذلك وجود يهود في فلسطين المحتلة التي يقولون بأنها أرض الميعاد. والصهيونية اليوم تنقسم إلى:

- صهيونية يهودية، أطلق مسارها للمرة الأولى تيودور هرتزل الذي دعى إلى المؤتمر الصهيوني الأول الذي عقد في مدينة بال السويسرية 29-31 أغسطس 1897م، وإن كان هناك من سبق إلى طرح موضوع إقامة وطن قومي يهودي مثل موسى هس الذي نشر كتابه " روما والقدس" 1862م، وهناك آخرون

غيره، لكن هرتزل هو من أسهم في قيام صيغة منظمة لخدمة هذه الأهداف.

- وهناك صهيونية غير يهودية وهي التي كانت بذرتها الأولى مع حركة البروتستانتية التي دعت بعض التيارات المتشددة فيها إلى التزام العهد القديم مع العهد الجديد في الوسط المسيحي. (**السحمراني**، 2009، **الصفحات** 27،28)

الشكل 1

عنوان الشكل: أهم مواقع يهوذا أواخر العهد الملكي. يشير الخط إلى قلب المملكة في أواخر القرن السابع ق م. أيام يوشيا

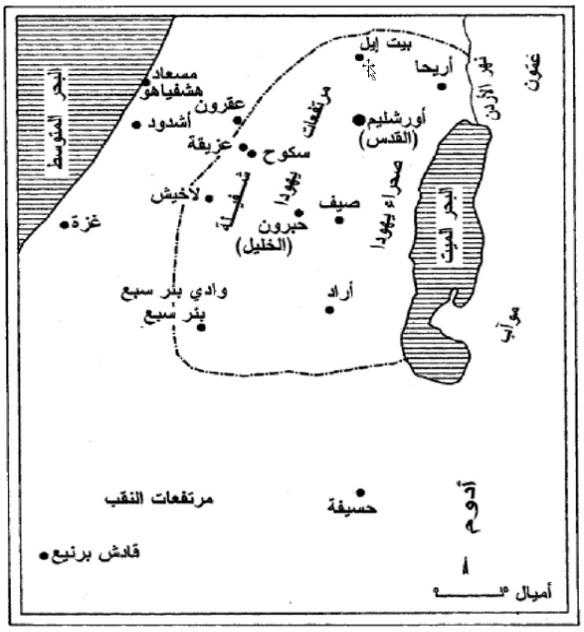

يمكننا القول أنّ إلغاء بعض الجوانب من التاريخ البشري لها علاقة بتاريخ اليهود ورفضها من الأصل على أساس أنها خيال وأساطير يتعارض ونصّ القرآن الكريم فهي ثابتة بنصّه من جهة ومن جهة ثانية تذهب الجغرافية البديلة إلى نقل المسرح التوراتي إلى مناطق أخرى كمنطقة عسير واليمن في شبه الجزيرة العربية، غير أنّ إثباتاتها الآركيولوجية وتحديد مسرحها الجغرافي ما زال يحتاج إلى تطبيق مناهج دقيقة وجادة تتبناها دوائر أكاديمية مختصّة، بدل من الوقوع في فخّ الدراسات الغربية العلمانية التي تلغي جزءا من تاريخ البشرية تطاولا وافتراء بحجّة أنّها قصص توراتية أسطورية خيالية، ويتعلق الأمر هنا بتاريخ الأنبياء ودورهم التاريخي (إبراهيم، إسحاق، إسماعيل، يعقوب، يوسف، موسى، داوود وسليمان عليهم السلام، كما يتعلق الأمر بقصة الخروج والتيه،... وغيرها من الأحداث.

صحيح ما تذهب إليه هذه الدراسات من أنّ تاريخ اليهود التوراتي قائم على أساس الأسطورة، الخيال، التزوير، التلفيق، التطاول، وكثير من المبالغة، لكن لا يعني ذلك إلغاء ما تعلق بتاريخ الأمم الإسلامية والديانات السماوية وشعوب الشرق الأدنى القديم بحجّة أنّها قصص واردة في نصوص العهد القديم، لأنّ ذلك سيلغي حتما فصول مهمّة من تاريخ البشرية وإذا ما كان هناك نقطة استفهام بشأن هذه القصص فإنمّا تتعلق بطبيعة النصّ التوراتي المزيّف المتضمّن لهذه الأحداث وكذا بالجغرافية البديلة التي دارت فيها معالم هذه القصص.

حتى وقت قريب جدا، كان المؤرّخون والعلماء، يعتبرون التاريخ الفلسطيني القديم جزءا مما يسمى بتاريخ إسرائيل القديم، والذي تعتبر مرويات العهد القديم مصدرا أساسيا لكتابته. إذ يقرّ قادة الصهاينة وزعمائهم، أنّ فلسطين هي الموطن التاريخي لبني إسرائيل ففي مؤتمر السلام الذي عقد في جنيف سنة 1919م، قدمت المنظمة الصهيونية العالمية مذكرة جاء فيها عن فلسطين: " هذه الأرض هي الموطن التاريخي لليهود" وعندما أعلن عن قيام دولة إسرائيل (المزعومة) في 14 آيار 1948 جاء في الإعلان أنّه " بموجب الحق الطبيعي والتاريخي للشعب اليهودي ..."، وقد حرص الزعماء والكتاب الإسرائيليون، منذ عهدهم التنظيمي على ضرورة التأكيد وتبرير هجرتهم إلى فلسطين. (**حاكمة**، 2014، **صفحة** 14)

حسب العهد القديم فإنّ: (حكاية الكتاب المقدس العبري تبدأ في جنة عدن وتستمر خلال قصص قابيل وهابيل وطوفان نوح (عليه السلام)، ثمّ تركز - أخيرا - على مصير عائلة واحدة هي أسرة إبراهيم (عليه السلام). اختار الله (عزّ وجلّ) إبراهيم ليكون أبا لأمة عظيمة، وليتبع بكل إخلاص أوامر الله (عزّ وجلّ). رحل إبراهيم مع عائلته من موطنه الأصلي في بلاد ما بين النهرين إلى ارض كنعان، حيث تجوّل- عبر مسيرة حياتية طويلة - كغريب بين السكان الأصليين لتلك المناطق، ثم أنجب-عبر زوجته سارة - ابنا هو إسحاق (عليه السلام)، سيرث الوعود المقدسة التي كانت قد أعطيت - أولا - لإبراهيم (عليه السلام)، وأصبح يعقوب ابن إسحاق (عليهما السلام) - الجيل الثالث من الآباء الكبار (حسب تعبير الكتابات اليهودية) - أبا لاثنتي عشرة قبيلة متميّزة. وبعد مسيرة حياتية فوضوية متنوعة من الترحال والتجوال وإنشاء عائلة كبيرة، وتأسيس مذابح في جميع أنحاء الأرض، يتصارع يعقوب مع الملاك، ويتلقى اسم "إسرائيل " (والتي معناها بالعبرية: " الذي تصارع مع الله") وهو الاسم الذي صار يعرف به كل أبنائه وذريته من بعده. وتروي التوراة العبرية كيف تقاتل أبناء يعقوب الاثنا عشر مع بعضهم البعض، وعملوا مع بعضهم البعض، وفي النهاية، غادروا موطنهم، باحثين عن ملجأ في مصر زمن المجاعة والقحط الشديدين. ويعلن الأب يعقوب في وصيته الأخيرة أن قبيلة ابنه يهوذا هي التي تحكم بقية القبائل الاثنتي عشرة جميعا) (**سيلبرمان**، 2017، **صفحة** 32،33).

حسب الدراسات التاريخية: أنّ بني إسرائيل أقاموا بوادي الأردن القليل الأهمية في الظاهر، وذلك في أحوال بالغ مؤرخوهم في روايتها... وخصب فلسطين في القرون القديمة كان مشهورا، فقد بهرت العبريّين عندما خرجوا من جزيرة سيناء الجديبة،

وكان روادهم يأتونهم بما يثير الحماسة من وصف لتلك البقعة " التي تجري فيها جداول من لبن وعسل". وبخصوص حدود تاريخ اليهود يقول غوستاف لوبون:" لا يبدأ تاريخ اليهود بالحقيقة إلاّ في عهد ملوكهم" (**غوستاف**، 2009، **الصفحات** 31ـ 26ـ28).

بالرجوع إلى العقيدة اليهودية نجد أنّ الثالوث المقدس (الأرض الموعودة- الشعب المختار- الإله يهوه) في المنظومة العقائدية اليهودية وفي الفكر الديني اليهودي وحدة مقدسة لا تقبل التغيّير أو التبديل. وتقف أرض الميعاد في مقدمة هذا الثالوث الإيديولوجي، وهو مصطلح يهودي يشير إلى وعد الله الذي قطعه لنبيه إبراهيم الخليل ومن ثمة إلى ولده إسحاق وحفيده يعقوب (إسرائيل) وإلى أحفاده (عليهم السلام) (**صلال**، 2014، **صفحة** 73).

دراسة موضوع أرض الميعاد تستوجب العودة لسفر يشوع المتضمّن تفاصيل تحقيق الوعد الإلهي المزعوم بالحصول على أرض الميعاد. وقد ورد ذكر مصطلح أرض الميعاد في أسفار متعدّدة من العهد القديم (مثل أسفار التكوين والعدد والملوك وغيرها). وأبرز قيادة فذّة قادت بني إسرائيل إلى الأرض الموعودة حسب زعمهم تمثلت بيشوع بن نون وصي موسى (عليه السلام)، وتعّد جبهة الأرض الموعودة الاختبار الأول لبني إسرائيل في مواجهة أعدائهم بعد وفاة موسى (عليه السلام)، وتكمن أهمية هذا السفر بمدى مصداقية بني إسرائيل في تعاملهم مع أوامر (الله تعالى). إذ قادهم رجال أطاعوا الله تعالى كثيرا ولم يعصوه لكن الشخصية اليهودية النفسية ما برحت تخالف أوامر الله سبحانه وتعالى. فتكررت معاصيهم مما تسبب في غضبه عليهم فلم يذقهم طعم الانتصار الكامل وتحقيق الوعد الإلهي في احتلال الأرض الموعودة فجاءت خاتمة السفر لتشير إلى أنّ هناك أرضا قد وعدوا بالاستيلاء عليها لكنهم لم يفلحوا في تحقيق ذلك (**صلال**، 2014، **صفحة** 73).

الظاهر أنّ عقيد أرض الميعاد والشعب المختار والإله الخاص ببني إسرائيل (يهوه) هي عقيدة راسخة مقدسة في فكر اليهود الديني. وفي هذا دليل على أهمية الأرض الموعودة التي سعى إلى تحقيقها بنو إسرائيل بما أتوه من قوة وسطوة، جسدتها معاركهم الحربية مع الأمم الوثنية التي كانت تعيش في شرق وغرب نهر الأردن (**صلال**، 2014، **صفحة** 75).

وعلى الرغم من نشأة العلم الذي عرف بـ" علم الكتاب المقدس " في القرن السابع عشر الميلادي- وهو العلم الذي تناول العهد القديم بالنقد والتحليل، وعلى الرغم مما توصل إليه الباحثون خلال ذلك القرن والذي يليه من أراء تجعل المرء يعيد النظر في أسفار العهد القديم وفي اعتبارها كتابا متسقا للديّانة اليهودية، على الرغم من هذا كله، فإنّ ذلك لم يحل دون استمرار ترديد تلك المقولة المجحفة لتراث الشرق القديم. (**عزيز**، 2006، **صفحة** 7)

الشكل 2

عنوان الشكل: خريطة إسرائيل ويهوذا في القرن الثامن قبل الميلاد

المصدر: (Finkelstein, 2013, p. 2)

3. منهج التاريخ التوراتي الأسطوري

يقوم التاريخ التوراتي الأسطوري على الكثير من المغالطات الابستيمولوجية التي تدخل في حياكة مخيّلة الفكر اليهودي وفبركة مرجعياته، ويمكن أن نقدم في هذا السياق عديد الأمثلة.

فعلى حسب قول كيث وايتلام حول تاريخ فلسطين القديم الذي ما زال محتجبا في الخطاب السائد في دراسات المدرسة التاريخية الغربية: من الواضح إذن أنّ رؤيتنا للماضي هي شيء سياسي بالدرجة الأولى، كما أنّ لها تداعيات مهمة في العالم الحديث لأنّ هذه التمثلات الذهنية تمثل الهوية الشخصية أو الاجتماعية أو تنكرها ولإيضاح ذلك، يكفي التدليل على ردود فعل السكان الأصليين لكل من استراليا والأمريكيتين في مناسبة الاحتفالات بمرور مائتي عام على الاستيطان الأوروبي لأستراليا، وخمسمائة عام على اكتشاف كريستوف كولومبس لـ" العالم الجديد"، والاستيطان الأوروبي التالي لهذا الاكتشاف. لقد كانت تلك الاعتراضات موجهة ضدّ التاريخ " الرسمي " الذي يؤكد " المركزية الأوروبية"، وضدّ تمثيل الماضي بشكل لا يخلو، في كثير من الأحيان، من إنكار تاريخ السكان الأصليين لهاتين القارتين. فالروايات التي تأتي بها الثقافات المهيمنة (التي هي عادة أدبية)، كثيرا ما تسكت الروايات الأخرى لجماعات هامشية موجودة في تلك المجتمعات فتحرم بذلك أن يكون لها صوت مسموع في التاريخ. (**وايتلام**، 1999، **صفحة** 36)

ويقدم نيل سيلبرمان (Neil Silberman): لنا مجموعة من الأمثلة الدالة على مدى التداخل بين علوم التاريخ وعلم الآثار والسياسة في الشرق الأوسط الحديث. إذ يبين كيف أنّ الدول القومية الأوروبية، ابتداء من الثورة الصناعية فصاعدا، قد أنشأت تواريخ قومية، لتبرير مكانتها في العالم، وجعلها مثالا يحتذى وهذا ينطبق بشكل خاص على بريطانيا حيث " اتخذ الماضي شكلا أكثر تركيزا" وذا مغزى حديث، كمصدر للرموز والمثل السياسية. (**وايتلام**، 1999، **الصفحات** 38 ـ 39)

يعالج ديفيد مايرز (David Myres) في كتابه:" إعادة اختراع التاريخ اليهودي: المثقفون الأوربيون اليهود والعودة الصهيونية للتاريخ، والصادر عن Oxford University Press سنة 1995:

(Re-Inventing The Jewish Past: European Jewish Intellectuals and The Zionist Return to History)

يبيّن فيه المؤلف، للمرة الأولى الدور البالغ الأهمية الذي لعبه الجيل الأول من المؤرخين اليهود في الجامعة العبرية في القدس (قسم الدراسات العبرية) ابتداء من العشرينيات من هذا القرن، وكيف أعادوا كتابة التاريخ اليهودي (أو اختلاقه كما يقول المؤلف) ضمن التصور الصهيوني، وكيف تمكن هؤلاء الأساتذة الجامعيون من اختراع هوية قومية جماعية جديدة للشعب اليهودي وإطلاق عنانها، والكتاب غير مترجم إلى العربية.

تولى فريق من المنقبين وعلماء التاريخ مهمة كتابة التاريخ وفق الرؤية الصهيونية وهم العلماء التوراتيون الذين يستندون فقط إلى التوراة ويتعاملون معها كمصدر تاريخي وبالتالي سيعمدون إلى تحليل البيانات الآركيولوجية بما يتناسب مع الأحكام المسبقة التي يريدونها، ومن هنا فقد اختلقوا كيانا يدعى "إسرائيل القديمة" وصوروها أنها إمبراطورية. فالأخذ بآراء الباحثين التوراتيون دون تدقيق وتمحيص هو تسليم بظلامية التاريخ وديكتاتورية الأفكار الغيبية التي عادة ما تطمس الحقائق وتثقل العقل بالنقل وتجعله عاجزا عن التفكير، فالتناقض في تسلسل الأحداث ووجود كثير من الشخوص التوراتية جعل الكثيرون يتخبطون في مغالطات وتبريرات تخرجهم من سمات البحث العلمي وتزّج بهم في دائرة التبرير الضيّقة. فخرافات وأوهام الرواية اليهودية قد انطلت على الكثيرين ولمدة طويلة حين كان المؤرخون يستمدون معلوماتهم من قصص التوراة التي تم تدوينها ولا يعتمد المنهج العلمي في التدقيق والتمحيص وتقصي الحقائق كما شأن علم التاريخ الحديث، بل اعتمد الأخبار والقصص المتداولة والمشاهدات الشخصية العابرة التي تتداخل فيها الأهواء الشخصية للمؤلفين والرواة (**الغني**، 2011).

يمكن القول أنّ التاريخ التوراتي كتب وفق رؤية الحركة الصهيونية لتبرير وجود الشعب اليهودي على أرض فلسطين، إضافة إلى ذلك الدراسات الأكاديمية لم تعطي أيّ مبررات علمية لأطروحاتها ووقعت في فخّ الدراسات التوراتية المبنية على إيديولوجية صهيونية، وحتى المؤرخين العرب والمسلمين الذين تبنوا مشروع الدفاع عن القضية الفلسطينية وقعوا في نفس الخطأ المنهجي والمشروع البديل الذي قدموه مازال يحتاج إلى قرائن وإثباتات.

فمنذ القرون الأولى للمسيحية حتى صعود الإمبراطوريات العظمى، كان ثمة من الانبهار بالأرض المقدسة (فلسطين)- مع الرغبة في استكشافها - لم يغب قط عن المحور الأساسي للفكر الديني الأوربي، وفي وقت مبكر يعود إلى القرن الثاني الميلادي بدأ الحجاج المسيحيون الأوائل القادمون من مختلف أجزاء الإمبراطورية الرومانية يصلون فلسطين ليعاودوا تعقب خطوات يسوع وحوارييه وفي أثناء طوافهم في أرجاء البلاد كانوا يتوقفون للصلاة والتأمل في الأماكن التي كان سكان البلاد يرشدونهم إليها على أنها مواقع نشاط يسوع وألامه، ولكن الحج المسيحي بدأ مع حلول القرن الثاني، يأخذ بالضرورة طابع التنقيب الأثري لانّ المشهد كان قد بات شديد الاختلاف عما ورد في العهد القديم والجديد (**الدبش، كنعان وملوك بني إسرائيل في جزيرة العرب**، 2009، **صفحة** 7).

ما حدث في فلسطين هو إعادة نبش الماضي وكتابته من جديد بما يدعم فكرة احتلالها واقتلاع شعبها من التاريخ قبل اقتلاعهم من الجغرافيا. و لعل أكبر كذبتين عرفتهما البشرية عبر تاريخها الطويل كانت وليس من قبيل الصدفة على أيدي أحبار اليهود وغلاة الحركة الصهيونية ويتعلقان بما سيعرف لاحقا بالمسألة اليهودية وبالتاريخ اليهودي نفسه، كانت المرة الأولى عندما ابتدع الأحبار العائدين من السبي البابلي قصة أصول اليهود، ووحدة الشعب اليهودي، وربطها بشخصيات دينية مثل النبي إبراهيم، النبي يعقوب، النبي موسى وغيرهم من الأنبياء عليهم السلام، ومن ثمّة إدراج هذه القصة في سياق التاريخ القديم لمنطقة الشرق الأدنى، والمرة الثانية فكانت عندما اختلق دعاة الحركة الصهيونية أواخر القرن 19م ما سمي (بالمسألة الصهيونية واضطهاد اليهود) بحيث يكون الحلّ متمثلا بالعودة إلى أرض الميعاد، كمقدّمة لخلق الكيان الإسرائيلي لاحقا، ومن اللافت للنظر أنّ العالم قد صدق تلك الكذبتين (**الغني**، 2011).

4. علم الآثار التوراتي

لم تقدم الآركيولوجيا إلى غاية اليوم أدلّة مقنعة يعتمد عليها لتبرير الشرعية اليهودية في فلسطين، فالمغالطات الابستيمولوحية التي وقع فيها علم الآثار في فلسطين كانت ولا تزال محل نقاش أكاديمي حاد يندرج في نطاق جدل المعرفي والأيديولوجي، خاصة في وقت اتجهت فيه الدوائر اليهودية إلى ربط هذا التخصص (علم الآثار) بالسياسة.

التوراة والآثار هما بمثابة كرسي له يدان: التوراة والآثار ليس ملكا للحافز الأثري، بل إنّ العالم الأثري هو الذي يكتشف من الحفرية التي يجريها مجريات القصة التوراتية (**الفني**، 2009، **صفحة** 79). فعالم التوراة لا يشبه أي رجل في العالم، حيث أنه يقدم الإيمان والعقيدة عن طريق القصة التي ينسبها لشعبه الذي عين الله ترعاه، أيضا الإيمان في التوراة خبر وإبلاغ، وبكلمة

أخرى هو هيئة تاريخية، والقصة التاريخية بالتوراة ستكون أقل جديا عندما نبدأ بمناقشة الإيمان التوراتي الذي حقق النصر حسب الحق التاريخي (**الفني**، 2009، **صفحة** 82). وتلميذ التوراة يجب أن يكون تلميذ العالم القديم، والآثار هي الوسيلة التي من خلالها يدخل الحياة العصرية، والطبيعة البشرية. ولهذا قدمت الدراسات التلمودية المنح والأموال إلى الدّارسين بها، وقدمت لهم الصفة العلمية حتى يأتوا إلى فلسطين عام 1750م كي يجروا عمليات مسح أثري حسب أجندة التوراة، وتقديم الخرائط التي أضافوا عليها أسماء المدن حسب ما ذكرت التوراة. أيضا من خلالها قسموا العالم العربي إلى أرض الأسباط الإثني عشر، وهو ما يسمونه (بالقبائل)، وهؤلاء الأسباط هم أولاد سيدنا يعقوب (**الفني**، 2009، **صفحة** 82).

لقد ازدادت حدّة معركة علم الآثار حول التوراة، وتحوّلت - في بعض الأزمنة والأمكنة- إلى هجمات شخصية واتهامات ذات دوافع سياسية خفيّة. هل حدث الخروج الجماعي لبني إسرائيل من مصر؟ هل كان هناك غزو لكنعان؟ هل حكم داود وسليمان (عليهما السلام) -حقيقة - إمبراطورية واسعة؟ ولقد كانت هذه التساؤلات تثير انتباه الصحفيّين والمعلقين في جميع أنحاء العالم (**سيلبرمان**، 2017، **صفحة** 19).

من منطلق إدراك اليهود لخطورة علم الآثار والتنقيبات الآركيولوجية وقدرته على زعزعة المنهج التوراتي الأسطوري وهدم الرواية من أساسها فقد جرت المحاولات للالتفاف حول هذا العلم وتطويعه لدعم وجهات النظر اليهودية من خلال السيطرة على مراكز الأبحاث والدراسات في الغرب وكذلك السيطرة على صناعة الإعلام ومراكز صنع القرار من أجل تشويه صورة أيّ باحث يتوصل إلى حقائق تاريخية لا تروق لهم ومن ثمّ الاستغلال البشع لكذبة معاداة السامية كما فعلت على سبيل المثال مع المفكر (روجيه غارودي) صاحب كتاب : "الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية" حين نجحت بتقديمه للمحاكمة بتهمة النيل من الجنس اليهودي عام 1995.وذات الشيء حدث مع العالم البروفيسور(توماس طومسون)عالم الآثار في جامعة ماركويت الأمريكية الذي طرد من الجامعة عام1992 بسبب آراءه المعارضة للرواية التوراتية حيث أوضح في كتابه "التاريخ المبكر للشعب الإسرائيلي من الكتابة والتنقيبات الآثارية "أن مجمل التاريخ اليهودي يستند إلى قصص من الخيال (**الغني**، 2011).

لقد أدرك المشروع اليهودي (الامبريالي الاستيطاني) منذ البدايات الأولى أهمية البعد التاريخي لإنجاح هذا المشروع فتضمنت المادة (21) من صك الانتداب البريطاني إصدار قانون الآثار وبذلك تشجيع عملية التنقيب على أمل إيجاد ما يدعم الرواية اليهودية أو إيجاد ما يشير إلى صلة ما واستمرارية تاريخية بين مملكة إسرائيل القديمة إبان مطلع العصر الحديدي وبين دولة إسرائيل الحديثة، وكذلك فقد سارعت إسرائيل وخلال شهرين من تأسيسها إلى إنشاء دائرة الآثار الإسرائيلية بهدف فرض الرقابة على عملية التنقيب (**الغني**، 2011).

هناك توظيف محكم لعلم الآثار من طرف اليهود، وفي الوقت نفسه هناك تنسيق بين الدوائر الحكومية والأكاديمية لتوثيق الأبحاث الأثرية المرتبطة بكتاب اليهود (العهد القديم) بهدف توجيه الأطروحات التوراتية التقليدية ودعمها ورفض أيّ جغرافية بديلة لأحداث العهد القديم، وحسب زعم هذه الأطروحات أنّ فلسطين هي المسرح العام لهذه الأحداث، وهذا المنهج هو الأكثر شيوعا في إسرائيل وفي العديد من الجامعات الأوربية.

تدل المعطيات الآثارية على أنّ القدس كانت تتمتع بمكانة عظيمة في العصور الموغلة في القدم، فإنّه يصح لنا أن نطرح هذه المعضلة على أهل الاختصاص: لماذا فشلت جميع المساعي للبحث عن دليل أثري واحد، يثبت وجود الهيكل المزعوم للنبيّ سليمان (عليه السلام)، أسفل الحرم الشريف بالقدس، وبالتحديد تحت المسجد الأقصى؟ باعتبار أنّ الباحثين يعثرون في بلاد فلسطين على آثار تعود إلى العصور الحجرية القديمة إلى نحو مليون وسبعمائة وخمسون ألف سنة خلت (1750000 سنة خلت)، ونعثر في القدس على آثار تعود إلى اثني عشر ألف عام خلت (12000 سنة خلت)، فإنّنا نتعجب من عدم وجود أدلة أثرية، على وجود هذه النفايات البشرية وهيكلهم المزعوم (**الدبش، اخطتاف أورشليم**، 2013، **صفحة** 11)، فبعد مرور أكثر من قرن ونيف على التنقيب الأثري الذي لم يترك شبرا أو حجرا من أرض فلسطين دون قلبها لم يعثر على أثر واحد يربط العهد القديم بها (**الدبش، اخطتاف أورشليم**، 2013، **صفحة** 12).

الشكل 3

عنوان الشكل: توسع أورشليم (القدس) من مدينة داود نحو الهضبة الغربية

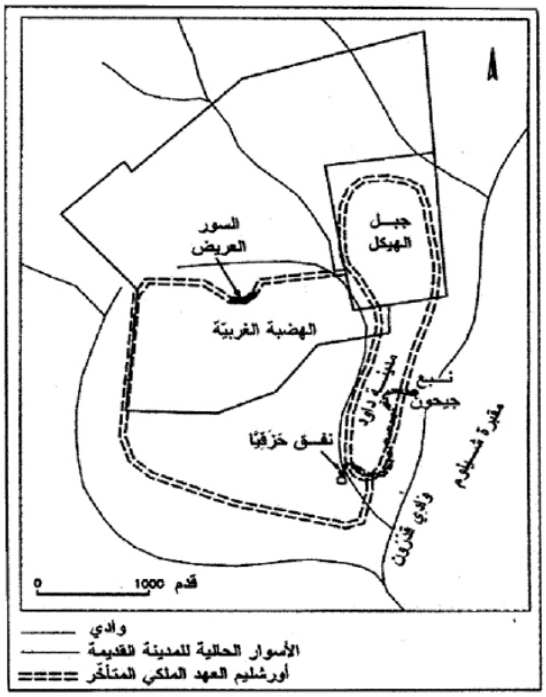

المصدر: (**سيلبرمان**، 2017، **صفحة** 298)

إلاّ أنّ الضربة القاسية التي تلقاها الباحثون عن "إسرائيل القديمة في فلسطين" ، هي تلك التي رماهم بها عالم الآثار " الإسرائيلي" أستاذ علم الآثار وحضارة الشرق القديم، في جامعة تل أبيب، البروفيسور "زئيف هرتسوغ" في تقريره الموسوم بـ"التوراة :لا إثبات على الأرض"، الذي نشرتها جريدة هآرتس "الإسرائيلية" بتاريخ 18نوفمبر1999م- ورغم أنّ عدد من الباحثين لا يتفق مع المنطلقات النظرية لهذا العالم أو مع استنتاجاته التي وصل إليها، بخصوص بعض جوانب التاريخ الفلسطيني القديم - فيذكر انّه "بعد سبعين عاما من الحفريات المكثّفة، في أرض فلسطين، توصل علماء الآثار إلى نتيجة مخيفة، لم يكن هناك شيء على الإطلاق، حكايات الآباء مجرد أساطير، لم نهبط مصر، ولم نصعد من هناك، لم نحتل فلسطين، ولا ذكر لإمبراطورية داود وسليمان" (**الدبش، اخطتاف أورشليم**، 2013، **صفحة** 22).

من وجهة نظرنا يمكن القول أنّ نظرية "زئيف هرتسوغ" وكثير من المؤرخين الذين تبنوا نفس الطرح، والتي تلغي جزء كبيرا من تاريخ الأمة الإسلامية والبشرية وكثير من مراحل تكوّن حضارة الشرق الأدنى القديم ليست حقيقة مطلقة ما دام أنّ الأبحاث الأثرية نتائجها نسبية إلى حدّ ما، إذ لا يعقل طمس حقيقة الأنبياء عليهم السلام: كقصة سيدنا إبراهيم ويعقوب مع أبناءه في مصر، كم لا يعقل طمس حقيقة قصة الخروج والتيه، وكلّ هذا ثابت بنصّ القرآن الكريم وأحاديث النبيّ صلى الله عليه وسلم، والثابتة في الحفريات الآثارية لبلاد الشرق الأدنى القديم، ومن هذا المنطلق يبدو أنّ تعميم الأحكام والنتائج ينجرّ عنه طمس هويات وثقافات أخرى.

لابدّ من التمييز بين ما هو مشترك وما هو خاص في تاريخ الأمم والأقوام، وتبني اليهود لتاريخ وثقافات الأمم الأخرى ليس بالضرورة نفيه ومصادرته فكان يجب على هذه الدارسات إخضاعه للتمحيص والتدقيق والغربلة وتمييّز ما هو يهودي عن غيره من تاريخ الشرق الأدنى القديم، فليس كل ما تبناه اليهود يندرج في جملة الأساطير والخرافات، فالأجدر البحث عن أصل النصوص والروايات وتخليصها من الشبهات التاريخية الزائفة ومن سطوة الأساطير اليهودية، والتمييّز بين ما هو يهودي خرافي أسطوري وبين ما هو دخيل على الثقافة اليهودية.

جاء في كتاب إخطاف أورشليم: " في العشرين سنة الأخيرة وفي نظر علماء الآثار الإسرائيليين، يحدث انقلاب حقيقي على التوراة، باعتبارها مصدرا تاريخيا، وأنّ أغلبية المنشغلين في النقاشات العلمية، في مجال آثار التوراة، وتاريخ شعب إسرائيل، الذين كانوا حتى الآن يبحثون في الأرض عن البراهين، والدلائل، للحكايات الواردة في العهد القديم، يتفقون الآن، على أنّ مراحل تكوّن شعب إسرائيل، كانت مغايرة تماما، لما يوصف في التوراة. من الصعب قبول ذلك، ولكن من الواضح للعلماء، والباحثين اليوم، أنّ شعب إسرائيل لم يقم في مصر، ولم يته في الصحراء، ولم يحتل الأرض من خلال حملة عسكرية، ولم يستوطنها من خلال أسباطه الإثني عشر" (**الدبش، اخطتاف أورشليم**، 2013، **صفحة** 23).

صحيح أنّ بعض الروايات الواردة في القرآن الكريم ما زالت تحتاج إلى إثباتات آركيولوجية نتيجة غياب القرائن الأثرية بسبب ضعف المدرسة الأثرية الإسلامية. وأنّ إثباتها لا زال يحتاج إلى أبحاث جادة خاصة في الوقت الذي يقول فيه بعض الدارسين بالجغرافيا البديلة لهذه الأحداث، كقصة رحلة النبيّ إبراهيم وقصة النبي يعقوب وقصة النبيّ يوسف ونبيّ الله موسى وقصة النبي داوود والنبي سليمان عليهم السلام، وقصة الخروج...وغيرها، ولا نقبل بأيّ شكل من الأشكال إدراجها في خانة الأساطير اليهودية، وما هو متفق عليه أنّ اليهود حرفوها وزيفوا نصوصها في عملية سطو بشعة على الثقافات الشرقية القديمة، كما نقلوا جزء هام من تراث الشرق الأدنى القديم إلى كتابهم المقدس (العهد القديم).

أمّا ما تعلّق بعدد بني إسرائيل الذين خرجوا من مصر (وإن اختلف العلماء بخصوص جغرافية مصر الوارد ذكرها في التوراة والقرآن الكريم) مع النبيّ موسى عليه السلام فيبدوا أنّ حجم الأرقام مبالغ فيه إلى درجة كبيرة، وبخصوص قضية غزو كنعان عن طريق قوة عسكرية وعبور نهر الأردن والهيكل المزعوم وقصص أخرى فالظاهر أنّها حيكت على درجة من الخيال والمبالغة والتلفيق والحكايات الشعبية، في حين تبقى كثير من القضايا تشكل إشكالات كبيرة بالنسبة لعلماء الآثار كمملكتي سيدنا داوود وسليمان عليهما السلام. أو ما يعرف بالمملكة الموحدة.

لقد أطلق أحد أساتذة تل أبيب لعلوم الآثار البروفيسور "فيل أشر سيلبرمان" وزميله البروفيسور "إسرائيل فنكلشتاين" صرختهما الشهيرة نفي كتابهما الصادم "التوراة اليهودية مكشوفة على حقيقتها "وذلك بعد أن تبيّن لهما وجود تضارب عميق، بين ما تسطره التوراة- فيما يخص تفاصيل المواقع الجغرافية للأنبياء، وممالك بني "إسرائيل"- وبين ما تشهد به الأرض، بعد أن استنطقها علوم الآثار (**الدبش، اخطتاف أورشليم**، 2013، **صفحة** 25). وهذا يعد بمثابة ثورة داخلية على الأطروحات اليهودية التي تسوق للطرح الكلاسيكي القائل بأنّ فلسطين هي مسرح التوراة الفعلي والعالمي.

أما "د. شلوموساند"، البروفيسور في جامعة تل أبيب، فإنّه في كتابه الأخير "اختلاق الشعب اليهودي"، والذي ضرب رقما قياسيا في مبيعاته، يؤكد أنّ القومية اليهودية هي ميثولوجيا، ولقد جرت فبركتها، قبل مئة عام، من أجل تبرير إقامة الدولة الإسرائيلية". ويؤكد أنّ اليهود لم يطردوا من الأراضي المقدسة، وأنّ معظم يهود اليوم، ليست لهم أيّ أصول عرقيّة في فلسطين التاريخية، وأنّ الحلّ الوحيد هو إلغاء الدولة اليهودية بـ "إسرائيل" (**الدبش، اخطتاف أورشليم**، 2013، **صفحة** 25).

5. اللغة العبرية كمعوق ابستيمولوجي

اللغة التي عرفت بكونها اللّغة " العبرية " أو " العبرانية "، لم تكن - بالتأكيد - لغة بني إسرائيل و"العبرانيين" وحدهم. وفي أيامها كانت هذه اللّغة واسعة الانتشار لا في غرب شبه الجزيرة العربية فحسب، بل أيضا في أماكن أخرى، ومنها فلسطين وما يليها شمالا من غرب الشام. وقد كانت اللغة العبرية، تعرف بـ سفت كنعن، أيّ بـ "لغة كنعان"، ومنها لغة التوراة وغيرها من اللّهجات الكنعانية القديمة، ومنها الأوجاريتية والفينيقية. ويبقى الواقع الذي لا شك فيه، وهو أنّ بني إسرائيل الذين اعتبروا أنفسهم " عبرانيّين " اثنيا بشكل خاص، كانوا هم الذين خلدّوا سفت كنعن، أيّ لغة كنعان، كما كانت محكية في غرب شبه الجزيرة العربية في زمانهم. ولذلك يصح تسمية لغة التوراة باللغة العبرية (**الصليبي**، 1998، **صفحة** 244).

اللّغة العبرية ذاتها لم تكن سوى لهجة آرامية أدخلت إليها مفردات من اللّغات الأخرى، ولم تصبح لغة مكتوبة أو محكية إلاّ في فترة المكابيّين في القرن الثاني قبل الميلاد، وأول نص عبري تمّ اكتشافه هو وثائق قمران قرب البحر الميت والتي تعود للقرن الثاني قبل الميلاد ولم يعثر على أيّ نص عبري قبل هذا التاريخ، وقد جرى تطوير هذه اللغة في القرن الرابع قبل الميلاد وقد ظلت لغة دينية حكرا على رجال الدين، وتستعمل في الصلوات والطقوس الدينية فقط، حتى جرى إنعاشها وبعث الحياة فيها من جديد في القرن العشرين (**الغني**، 2011). وهنا تكمن خطورة تلك الأطروحات المغلوطة التي لفقها اليهود بشأن تاريخهم المزور.

وحول أصل المكابيّين يمكن الرجوع إلى ما ذهبت إليه بعض الأراء مثل ملاك محارب:" أمام التهديد والأعمال الاستفزازية التي كان يمارسها انطيوخوس إبيفانيوس مع اليهود وتدنيسه الهيكل ومنعه أن يمارس اليهود عبادتهم. ثار عدد من اليهود بقيادة كاهن اسمه متاتيا بن سمعان على جنود الملك. فألف متاتيا جيشا وهجم على مذابح الأوثان وهدمها واختتن كل الاولاد الغلف في تخوم اسرائيل وكان لمتاتيا خمسة أبناء هم: يوحنا، سمعان، يهوذا " الملقب بالمكابي"، إليعازر ويوناثان. ولما أحس متاتيا بقرب أجله عيّن ابنه يهوذا المكابي رئيسا للجيش بدلا منه. ومن لقبه المكابي أطلق اللقب على جميع أسرة متاتيا من بعده. وكان يهوذا المكابي قويا...قام بإعداد جيش وهجم على المنافقين من اليهود اتباع الملك السلوقي واستطاع تحرير اورشليم من الفساد. (**محارب**، **الصفحات** 225ـ226)

لا تزال لغة كتابة "العهد القديم" موضوع دراسة وبحث وتدقيق وتحقيق من قبل المتخصّصين وما تزال الآثار والأفكار حول هويتها قيد المناقشات والمجادلات، فالمعروف في التقليد اليهودي والمسيحي، أنّ العهد القديم كتب باللّغة العبرية، فيما عدا أجزاء بسيطة من سفر (عزرا) و(دانيال) وآية واحدة من سفر (ارميا) كتبت بالآرامية. ولكن بعض الدراسات المتخصّصة أثبتت أنّ عصر سيدنا موسى (عليه السلام) يسبق نشأة تكون اللّغة العبرية لفترة طويلة، ومن ثمّة فالتوراة لم تنزل بالعبرية بل بلغة معاصرة له ومفهومة لديه ولدى شعبه، لأنّها أنزلت لهداية قوم، ولا بدّ وأن تكون بلغتهم مصداقا لقوله عزّ وجّل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾ سورة إبراهيم، الآية 4. ومن هنا يمكننا التساؤل عن طبيعة اللّغة التي أنزل الله تعالى بها التوراة على النبي موسى عليه السلام. ويذهب بعض الدارسين إلى أنها كتبت بالهيروغليفية (**وردي**، 2016، **صفحة** 41، 42).

6.النصوص التوراتية وإشكالات المنهج

جاء في كتاب التاريخ القديم للشعب الإسرائيلي لطوماس ل طمسن: في الحقيقة، كانت دراسات الجغرافية التاريخية في فلسطين تفهم، على نطاق عالمي، في ضوء تحديد أسماء المواقع الجغرافية أيّ كتأيّيد لدراسة النصوص والمرويات التوراتية بصورة خاصة. وربما كانت أخطر عوائق هذا التحليل المباشر للمصادر الآركيولوجية والكتابية، وتركيزه على دمج تاريخ فلسطين في عالم التوراة الأوسع والأغنى بالنصوص، والتأريخ التقليدي وأدب الشرق الأدنى القديم تكمن في إهمال الإيضاحات الفلسطينية الداخلية المستخلصة من الآركيولوجيا، لما طرأ على الثقافة المادية وأنماط الاستيطان من تغيّر. هذا الإهمال أدى إلى تقلص قدراتنا على كتابة تاريخ فلسطين، مدى هذه المشكلة واسع جدا. مثلا، في معظم الكتابات الحديثة التي تقدم مدخلا إلى الدراسات التوراتية، سواء كانت محافظة أو ليبيرالية، تعتبر المهمة الأولى للآركيولوجيا الفلسطينية هي إيضاح النصّ. (**طومسون**، 1995، **صفحة** 276)

وبين العهد القديم (كتاب اليهود المقدس) والشرق الأدنى القديم، تثور العديد من المشكلات البحثية. فبعد المكتشفات الآثارية والدراسات والأبحاث التي تناولت هذه المكتشفات، لم يعد العهد القديم هو الممثل الوحيد لتراث الشرق الأدنى القديم، بل ولم يعد أقدمها ولا أبدعها. لذا فقد تعددت الدراسات التي تخصصت في تراث المنطقة متضمنا نصوص العهد القديم. وتوصلت الغالبية العظمى من الباحثين إلى أنّ نصوص العهد القديم مقتبسة من تراث المنطقة، كما ذهب الكثيرون منهم إلى أنّ العهد القديم يحتوي على العديد من صور الأدب الشعبي، وعلى رأسها الأساطير. (**عزيز**، 2006، **الصفحات** 8ـ9)

في السنوات العشرون الماضية أو ما يقاربها ألقيت ظلال من الشكّ العميق على إمكانية كتابة تاريخ (إسرائيل) استنادا إلى روايات التوراة ووصل بعض المؤرخين إلى حدّ التشكيك من حيث المبدأ، بإمكانية كتابة تاريخ من هذا النوع، فالبحث عن تاريخ (إسرائيل) مازال غامضا، وأيّ محاولة للتوفيق بين البيانات التوراتية وغير التوراتية إثباتا لتاريخانية (إسرائيل)، سرعان ما دخلت مرحلة الانهيار، التي مازالت متواصلة حتى اليوم، فمنذ أواخر السبعينيات من القرن العشرين، ومطلع ثمانينياته، بدأ جيل جديد من علماء الآثار باستخدام وتطوير أسلوب

مستحدث في التنقيب هو أسلوب المسح الميداني الكامل، لمناطق جغرافية معينة بدلا من الحفر في مواقع متباعدة، ومنعزلة عن بعضها (**الدبش، اخطتاف أورشليم**، 2013، **صفحة** 20 ، 21).

ويبقى من أبرز رواد هذا الاتجاه، البروفيسور "طمسن" كما ذكرنا أستاذ علم الآثار في جامعة ماركويت في ميلووكي بالولايات المتحدة الأمريكية، دعا في كتابه الذي صدر 1992 م تحت عنوان: "التاريخ القديم للشعب الإسرائيلي" إلى "نقض تاريخية التوراة" أيّ عدم الاعتماد على التوراة، كتابا لتاريخ المنطقة، والحضارات والى اعتماد الحفريات الآركيولوجية، وثروة الآثار الكتابية القديمة، مصادر لإعادة كتابة تاريخ المنطقة، قائلا: "إنّ أيّ محاولة لكتابة تاريخ فلسطين في أواخر الألف الثانية قبل الميلاد أو بدايات الألف الأولى قبل الميلاد، على الضوء التام لمصادر الكتاب المقدس، لتبدو على الفور محاولة فاشلة، وميئوس منها، بل يمكن اعتبارها محاولة هزلية بالكامل، وتبعث على الضحك، والفكاهة. إنّ قصص العهد القديم، ما هي إلاّ مأثورات، وحكايات، كتبت أثناء القرن الثاني قبل الميلاد. وانّه مضيعة للوقت أن يحاول أيّ إنسان أن يثبت مثل هذه الأحداث التوراتية من خلال علم الآثار القديمة، فالعهد القديم ليس له أيّ قيمة كمصدر تاريخي (**الدبش، اخطتاف أورشليم**، 2013، **صفحة** 21 ، 22).

حسب طومسون فإنّ تحديد الحقب الآركيولوجية أصبح مقيّدا بنصوص متعاقبة اعتمدت لتفسير الآثار الآركيولوجية، ثمّ فسرت هي نفسها في ضوئها. وأكثر من ذلك بسبب ترابط المرويات التوراتية، وانحياز الآركيولوجيا التوراتية، أصبح ما هو أصلا فلسطين ما قبل التاريخ، يعتبر كيانا موحدا فصل بصعوبة عن جنوب سوريا وشرق الأردن والسهوب والمناطق الصحراوية إلى الجنوب والجنوب الشرقي وافترض تأويل تاريخي واحد متداخل لكل المناطق الفرعية في فلسطين. (**طومسون**، 1995، **صفحة** 276)

كما قام العلامة " وايتلام" أستاذ العلوم الكتابيّة في قسم الدراسات اللاهوتية بجامعة سترلنغ، بالمملكة المتحدة بمراجعة المؤلفات، التي تعاملت مع تاريخ فلسطين القديم، وأدرك في حينه مدى توغل الخطاب الإستشراقي، في الكتابات عن تاريخ فلسطين. وأشار إلى أنّ هناك عملية طمس متعمّد، ومبرمج، من قبل الحركة الصهيونية لكثير من الدلالات التاريخية، للمكتشفات الأثرية في فلسطين، ومحاولة تفسيرها بطريقة مغلوطة في أغلب الأحيان. فتوصل في كتابه "تلفيق إسرائيل التوراتية طمس التاريخ الفلسطيني " إلى أنّ "صورة ماضي إسرائيل، كما وردت في معظم فصول الكتاب العبري، ليست إلاّ قصّة خيالية، أيّ تلفيق للتاريخ (**الدبش، اخطتاف أورشليم**، 2013، **صفحة** 22).

يجب التركيز على سياقات نصوص العهد القديم، أيّ الاشتغال على النصّ التوراتي بالاعتماد على العلم اللّغوي لدراسة النصوص بغية الفصل بين ما هو ديني وتاريخي من جهة وبين ما هو أسطوري خرافي من جهة أخرى. لأنّ نصوص العهد القديم بالنسبة لليهود هي مقدسّة وبالتالي الحقائق التاريخية الواردة فيها حقائق مطلقة لا تقبل النقاش، والأخطر من ذلك أنّ اليهود يعتبرون العهد القديم مرجع تاريخي لجميع شعوب العالم، وفي الوقت ذاته يقع اليهود في تناقض صريح عندما يعطون انطلاقا من نصوص العهد القديم وحدة الأصل للبشرية من جهة ويقولن بشعب الله المختار من جهة ثانية ويقول بفكرة الإله (يهوه).

يركّز وايتلام في كتابه اختلاق إسرائيل القديمة على أنّه تعاقبت على فلسطين القديمة عدة حضارات وعلى أنّ إسرائيل القديمة لم تكن إلاّ " خيطا رفيعا في نسيج التاريخ الفلسطيني الغني"، (وبعد أن جرد الفلسطينيون من أرضهم) فإنّ خطاب الدراسات التوراتية متورّط في عملية تجريد الفلسطينيّين من ماضيهم أيضا وذلك من خلال بحث هذه الدراسات المتواصل عن إسرائيل القديمة وتكرارها لعدد من الادعاءات التي تربط الماضي بالحاضر وتجاهلها للمعلومات الأثرية الجديدة التي تعطي صوتا للتاريخ الفلسطيني. (**وايتلام**، 1999، **صفحة** 5 ، 6).

في مقابلة مع إسرائيل فلنكشتاين (مدير كلية الآثار في تل أبيب) جاء فيها:" أنّ الحفريات الأثرية، سيطر عليها نصّ التوراة، الذي كان يعتبر مقدّسا، وكان ينتظر أن تصدّق الحفريات، وتؤكّد الروايات التوراتية، وحتى عام 1960 م، لم يكن أيّ عالم آثار، ليشك في الرواية المقدسة لرحلات الآباء- حسب تعبيره- (أي أنبياء التكوين، والخروج). وكان المهمّ العثور على موجودات أثرية تؤكّد النصّ. لكن منذ ذلك الحين، والأثريات وسط معمعة، بعد ذلك جرّب علم الآثار معرفة وفق أيّ مقاييس يتطابق الشاهدان: النص والأثر".

الشكل 4 **عنوان الشكل: شبه صحراء سناء: يظهر فيها أهم المواقع المذكورة في قصة الخروج**

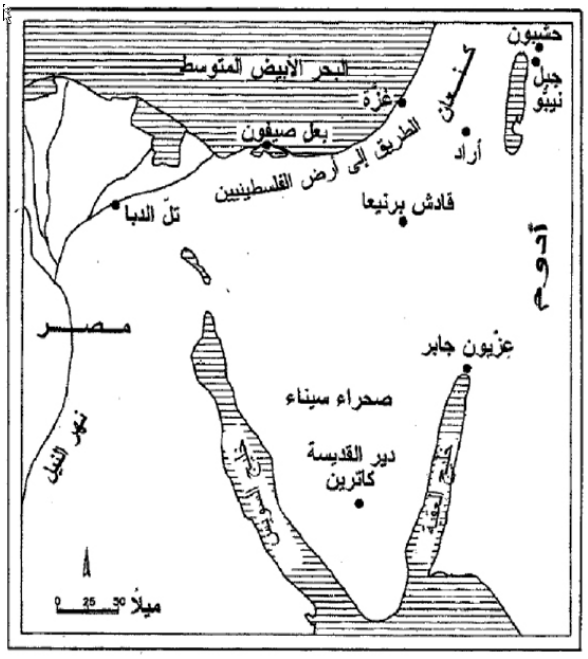

المصدر: (**سيلبرمان**، 2017، **صفحة** 97)

وكما ذكرنا سالفا أنّ تاريخ الأنبياء لا يرق إليه الشكّ كما يدّعيه الكثير ممن تبنوا النهج النقدي لمرويات العهد القديم وذلك بدليل نصّ القرآن الكريم وبدليل نتائج الحفريات الآثارية، وقد عمل نسّاخ العهد القديم في سياق النصوص التوراتية على توظيف هذه القصص لخدمة فرضية تاريخ (الشعب المختار) كما يدّعون والذّي ربطوا مصير العالم بمصيره، وكان هذا التوظيف يقوم على الافتراء والنفاق والزّور وعلى أسس باطلة.

بالرجوع إلى معجم اللاّهوت يتأكّد أنّ في الكتب المقدّسة أخطاء وتناقضات وأمور نسبت إلى أشخاص لم يكتبوها لأنّها حدثت بعد عهدهم بوقت طويل. ولكن أكثر ما يعبر عن سذاجة كاتب سفر التثنية - إن لم نقل غباءه - أنّه يذكر أنّ موسى (عليه السلام) كان ابن مئة وعشرين سنة حين مات ولم تكل عينه ولا ذهبت نضارته فبكى بنو إسرائيل موسى في عربات مؤاب ثلاثين يوما. فإذا كان موسى كاتب التوراة كيف كتب هذا الكلام هل الأموات أيضا تكتب؟ تث 7:34 (**حنا**، 2006، **صفحة** 310 ، 311).

إذا كانت التوراة قد نسقت أسفارها واستكربت أنبيائها منذ أيام إبراهيم الخليل وعلى مدى أكثر من ألفي سنة، فهل تطهّرت هذه الأسفار من الأخطاء والتناقضات وحتى من المستويات الأخلاقية المنحطة؟ الحقيقة بالرغم من هذا كله لازالت صفحات التوراة مشبعة بهذه العيوب، ولا يظن أنّ هناك صفحة واحدة تخلو من الأخطاء والركاكة. (**حنا**، 2006، **صفحة** 358).

يقول سيغموند فرويد وهو يهودي الأصل وهو غني عن التعريف بمكانته الثقافية والعلمية: مسخ المنقّحون النصّ وحذفوا منه وزادوا عليه بل عكسوا معناه وتشويه النصّ شبيه من وجهة نظر معينة بجريمة القتل. فالصعوبة لا تكمن في ارتكاب الجريمة بل في إخفاء آثارها. (**حنا**، 2006، **صفحة** 399).

7.منهج المقاربات البديل

من خلال هذا الطرح المتواضع نسعى إلى إعادة صياغة بعض التصورات التوراتية للتاريخ القديم وفق ما يتماشى مع الأطروحات العلمية والتي تبناها العديد من العلماء والباحثين في التاريخ وعلم الآثار معتمدين على المنهج التحليلي الإستنتاجي المقارن وعلى النصّ القرآني، إضافة إلى المقاربات الأركيولوجية واللّغوية والجغرافية في قراءة بعض أحداث التوراة (العهد القديم)، ثمّ المقارنة بين النظرتين الكلاسيكية والحديثة للتاريخ التوراتي.

لقد اتجهت أنظار العلماء والباحثين إلى الشرق، سواء علماء الآثار أو اللّغات أو التاريخ أو الأنثروبولوجيا أو حتى علم النفس وغيرهم وزاد الاهتمام الغربي بالآثار المادية والفكرية التي أنتجتها الحضارات القديمة في الشرق الأدنى القديم، فظهر العديد من الدراسات اللّغوية والتاريخية والآثارية والدّينية والأدبية وغيرها من ذلك التراث الحضاري الضخم، بل وانتصر العديد من العلماء لحضارات المنطقة من أمثال : " أدولف إرمان " و" جيمس هنري برستد " و" صمويل نوح كريمر " و غيرهم. (**عزيز**، 2006، **صفحة** 8)

من هذا المنطلق علينا إعادة النظر في التاريخ التوراتي وإعادة قراءته بمنهج جديد يأخذ في الاعتبار المقاربات الثلاثة، المقاربة النصيّة واللّغوية، المقاربة التاريخية والمقاربة الآركيولوجية:

1.7 المقاربات النصّية واللّغوية:

أيّ الاشتغال على النصّ التوراتي لمحاولة تقديم رؤية تاريخية مبنيّة على أسس علمية وذلك يتطلب حفرية أعمق في ماضي الشعوب والأمم، على اعتبار أنّ النصّ التوراتي تعرض للتزييف بقصد، عشية بدأت الشخصية اليهودية تحاول التموقع والتمركز منذ الأسر البابلي ومحاولة عولمة التاريخ اليهودي عن طريق إعادة صياغة النصّ التوراتي وإنتاج المفاهيم وأدلجتها ولعل أخطر عملية قام بها اليهود على مرّ التاريخ هي تهجين الإنتاج الحضاري الشرقي ونسبه إلى الحضارة اليهودية. أين الإشكال الآن؟ المشكل العويص هو ذلك الذي يطرح بشدة في مجال تداخل الهويات وتشابكها...فالنصّ يقرأ من زوايا متعددة ولعلّ أعقدها ما تعلق بأزمة مرجعيات الهويات في حدّ ذاتها، والأصل التوراتي في هذا الباب يعيش أزمة حقيقية ويحمل علماء الإسرائيليات والمهتمين بالتاريخ التوراتي على تناقضات بالجملة فهناك مجال الأصل الواحد للبشرية من جهة وهناك مجال الشعب الواحد المختار من جهة أخرى و الذي يعطي النصّ هوية يهودية قائمة على الجغرافية أو أطروحة أرض الميعاد كل هذا نحو التسويق لفكرة نهاية التاريخ من منظور يهودي واغتصاب الجغرافيا واغتيال التاريخ.

كانت أسفار العهد القديم حتى وقت قريب جدا تتمتّع بمركز الصدارة في أيّ بحث أو دراسة في تاريخ الشرق الأدنى القديم عموما، والتاريخ الفلسطيني خصوصا، وأصبح العالم أمام نظريات اعتبرت مسلمات حول منطقة فلسطين ومنطقة الشرق العربي فاخترع تاريخ جديد لإسرائيل وللمنطقة بأسرها وقد سار في هذا الطريق غالبية الباحثين والمؤرخين الأوربيين وتبعهم في ذلك المؤرخون العرب (**الدبش، كنعان وملوك بني إسرائيل في جزيرة العرب**، 2009، **صفحة** 7).

تذهب الدراسات التاريخية إلى حدّ القول: " أنّ العلماء الذين تناولوا تراث المنطقة (منطقة الشرق القديم) لاحظوا أنّ ثمّة تداخل بين الدّين والأدب والطقوس والأسطورة، وقد وجه ذلك أنظار علماء الميثولوجيا لدراسة التراث الأسطوري للمنطقة، فنم عن اكتشافات هائلة، كان من أبرزها اكتشاف أقدم ملحمة في العالم - كم يدّعي هؤلاء الباحثين- ممثلة في ملحمة " جلجامش" والتي تسبق الإلياذة والأوديسا بنحو ثلاثة عشر قرنا أو يزيد. كما نمت هذه الدراسة عن أسبقية العديد من الأفكار. التي طرحتها تلك الأساطير على نظيراتها في التراث الغربي، وهي الأفكار الأساسية التي طرحها العقل البشري عن الألوهية والحياة والموت والخلود والفناء والبعث والحساب والشّر والخير والعوالم العلوية والسفلية، مما يجعل الفضل في وضع لبنات الفكر البشري الأولى لمنطقة الشرق الأدنى القديم". (**عزيز**، 2006، **صفحة** 8)

يبدو أنّ المشكل يكمن في الوقوف على نتائج بحثية اعتبرت

نهائية وجازمة بالنسبة لتاريخ المنطقة العربية وكان ذلك نتاج جملة من الأخطاء الابستيمولوجية على مستوى مناهج البحث التاريخي كمحصلة لنتائج البحث الأثري والتي حسمت نتائجها مسبقا، بمعنى ارتكزت على نصوص مزيّفة ومقاربات نصيّة مغلوطة، في الوقت الذي ضبط فيه النصّ التوراتي نتائج الحفرية الأثرية وحسم نتائجها مسبقا.

2.7. المقاربات التاريخية والأنثروبولوجية

خلال القرن التاسع عشر الميلادي، وعن طريق الحفائر التي بلغت ذروتها في تلك الأثناء وفي بدايات القرن العشرين في كل من مصر والعراق وسوريا، تمّ الكشف عن تراث حضاري بالغ الروعة يفوق كل ما أنتجته اليونان القديمة، وما ورد في العهد القديم، علاوة على أسبقيته التاريخية على كل من التراثين الإغريقي والعبري- حسب ما أرّخ العلماء لتلك المكتشفات الآثارية في المنطقة. (**عزيز**، 2006، **الصفحات** 7ـ8)

في هذا السياق تحتاج العديد من الأساطير والخرافات التوراتية -التي بنيت عليها تصورات اليهود لتاريخهم القديم والمزعوم في بناء مجد لا أساس له - إلى إعادة قراءة وتدقيق وتمحيص وفق منهج علمي سليم، ومراجعة تاريخ اليمن وشبه الجزيرة العربية ومصر وبلاد الرافدين وفلسطين خاصة في الفترة القديمة، خاصة في ظلّ وجود كمّ هائل من الباحثين العرب يصّر على أنّ المسرح العام لأحداث العهد القديم هو بلاد اليمن وبعض أجزاء شبه الجزيرة العربية على اعتبار وجود أدلة وبراهين لغوية وأثرية على ذلك وفي هذا السياق يمكن الإشارة إلى الباحث: كمال الصليبي، فاضل الربيعي، أحمد داود، أحمد الدبش، فرج الله صالح ديب، زياد منى، سيد القمني...وغيرهم.

ومن الجدير بالانتباه أنّ أطروحات الباحثين التي تعد عسير أو اليمن أو الجزيرة العربية هي مكان قصة سيدنا موسى مع (إلهه يهوه) وموضع خروج اليهود من مصر العربية، ليست بجديدة فقد سبق إليها العديد من الباحثين المستشرقين الثقاة، ففي عام 1907 بدأت أكاديمية فيّنا بإصدار مؤلف المستشرق النمساوي (Alois Musil) بعنوان: (Arabia Petraea) في أربعة أجزاء وقد كتبه أثناء زيارته لمواقع التاريخ التوراتي ...وأدرك أنّ سيناء التوراتية ليست هي سيناء الحالية وأنّ الآراء الشائعة حول موسى (عليه السلام) وحول الديانة اليهودية ليست صحيحة. وذهب المستشرق "مرجوليوث" إلى أنّ الوطن الأصلي لبني إسرائيل لم يكن في شبه جزيرة سيناء بل كان ببلاد اليمن التي خرجت منها أمم كثيرة منذ أقدم الأزمنة التاريخية، ويستدل على رأيه هذا ببضعة أدلة منها أنّ عادات بني إسرائيل وأخلاقهم الاجتماعية في عصورهم الأولى كانت قريبة من أخلاق العرب في الجاهلية ...وكذلك وجود ألفاظ مشتركة بين اللّغتين العبرية والسبئية وكذلك أسماء الأعلام المتشابهة. وقدم المستشرق الألماني "هوغو ونكلر" (Hugo Winckler) رسالة مثيرة للجدل سماها "مصري وملوخا ومعين" بيّن فيها أنّ مصري هي أرض عربية شمالية وأنّ مصر المذكورة في التوراة هي في بلاد العرب لا في إفريقية. وأنّ عبارة (Hagar Ham-Misrith) بمعنى هاجر المصرية، لا تعني هاجر من مصر المعروفة، بل من مصر العربية، أيّ من هذه المقاطعة التي نتحدث عنها (معن مصرن) وأنّ القصص الواردة في التوراة عن مصر وعن فرعون، هي قصص تخصّ هذه المقاطعة العربية وملكها العربي (**الدبش، موسى وفرعون في جزيرة العرب**، 2007، **صفحة** 10). وكثيرة هي الأمثلة في هذا السيّاق على غرار أطروحات فاضل الربيعي التي تنقل مسرح الحدث التوراتي بأكمله إلى بلاد اليمن من خلال مؤلفه: فلسطين المتخيّلة " أرض التوراة في اليمن القديم ".

كما يمكن للدراسات الأنثروبولوجية أنّ تقدم إضافات لتاريخ الشرق القديم، ومن ثمة الكشف عن مكنونات الحضارات الشرقية القديمة والتأثيرات الحاصلة في مجال الثقافات الإنسانية لتقديم تبريرات وتفسيرات خاصة فيما تعلق بمجال تداخل الهويات الثقافية والتأثيرات اللغوية، ورغم أن نتائج مثل هكذا دراسات تبقى نسبية إلاّ أنّ المناهج الغربية تتجه صوب التحليل الأنثروبولوجي لفك بعض الإشكالات في تاريخ الشرق القديم، ويمكن أن نقدم كأنموذج لذلك أطروحات عالم الأثار الأمريكي لـ طوماس طمسن، كما أنّ بعض الدراسات الأنثربولوجية الحديثة فنّدت فكرة انتماء اليهود للشعوب السامية.

3.7. المقاربات الآركيولوجية

إنّ التنقيبات الآركيولوجية التي تلت حملة نابليون بونابرت على المشرق وما نتج عنها من فكّ رموز الكتابات الشرقية القديمة قد نقلتنا مباشرة إلى العصور الموغلة في القدم لنفهم التاريخ كما هو بالضبط لا كما يصوره خيال الحالمين. ولتمدنا بحقائق لا يرقى إليها الشكّ ولتتضح تلك الصورة الغامضة والمشوّهة التي طالما دأبت الحركة الصهيونية على ترسيخها في الذاكرة البشرية وعملت على إحاطتها بهالة من القداسة والسحر، ليصعب على العالم فهم الحقيقة التاريخية المجردة عن تاريخ بني إسرائيل (**الغني**، 2011).

الأطروحات الجديدة التي تبناها بعض علماء الآثار في نقدهم لقصة إسرائيل القديمة تسعى إلى فصل التاريخ الواقعي عن الأسطورة من خلال الأدلة التي أثبتتها الاكتشافات الأخيرة ، ومحاولتهم بناء تاريخ جديد لإسرائيل القديمة (**سيلبرمان**، 2017، **صفحة** 26). وعليه لا يمكن بناء تصورات جديدة لجغرافية التوراة بمعنى أحداث العهد القديم دون الرجوع إلى منهج علمي محكم يأخذ في الاعتبار نتائج علم الآثار بمعنى المكتشفات الأثرية ومدى تطابقها مع النصّ لرصد التناقضات بينهما.وهذا ما يفرض علينا عملية مسح أثري في مواقع عديدة من شبه الجزيرة العربية واليمن ومصر وبلاد الشام وفلسطين، أيّ المواطن التي تم فيها حراك قبلي ولغوي في التاريخ القديم .خاصة في وقت أثبتت فيه التنقيبات الأثرية فشلا ذريعا في فلسطين ولم تتوصل إلى أيّ نتيجة تذكر تصدق النص التوراتي.

مع الأخذ في الاعتبار (وهي ضرورة ملحة) مقارنة المقاربات المذكورة (المقاربات النصية واللغوية، المقاربات التاريخية،

المقاربات الآركيولوجية) مع ما جاءت به نصوص القرآن الكريم وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم من جهة، ومن جهة ثانية مقارنة نصوص القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة ذات العلاقة مع النصوص الدينية التوراتية والمسيحية حول التاريخ اليهودي، ومع ما توصل إليه علم الآثار البديل، لكن ما يعاب على المدرسة العربية أنّها في غالب الأحيان لا تأخذ في الاعتبار النص القرآني كقاعدة في تقديم الأطروحات البديلة، هذا من زاوية، ومن زاوية أخرى أنّ المدرسة الإسلامية التي بدأت تتجه إلى الدراسات القرآنية لنقد العهد القديم هي مدرسة تفتقر إلى مناهج البحث الأثري وتحتاج إلى توحيد الجهود والمعارف والأهداف، وإن كان العلماء المسلمين هم السبّاقين إلى هذا النوع من الدراسات النقدية قبل غيرهم.

فالتناول النقدي الإسلامي للعهد القديم بدأ منذ العهد الأول للرسالة مع القرآن الكريم، حيث يعتبر القرآن الكريم المحور الرئيسي الذي تشكلّت حوله محاولات علماء المسلمين النقدية، بإزاء الكتاب المقدس عامة، والعهد القديم خاصة، يقول (إدجار فيبر) واصفة دور القرآن الكريم في أعمال علماء الأديان المسلمين: « إنّه (عالم الأديان المسلم) يقوّم العالم الخارجي بمقياس عالمه العقلي والدّيني، وهو عالم يمثل فيه القرآن قطب الرحى، والمركز الثابت القارّ، ومن هذا المركز ينظر إلى الأنحاء المحيطة؛ فيحكم عليها بالصدق أو الكذب، بالخير أو الشر». وتقول هافا لازاروز: «إن اتهام اليهود والنصارى بتحريف الكتاب المقدس هي أهم قاعدة، حجاجية إسلامية، ضدّ العهد القديم والجديد معا... وهي قاعدة ذات أصل قرآني» (**الغفّار**، 2016، **صفحة** 19)، والكتابات الإسلامية التي استمدت أصولها النقدية تجاه العهد القديم من القرآن الكريم بدأت تقريبا منذ القرن الثالث الهجري- الثامن الميلادي، واستمرت عدة قرون، شملت مرحلة العصر الوسيط، بالنسبة لأوروبا، وانتقلت إلى هناك مع مشارف عصر النهضة (**الغفّار**، 2016، **صفحة** 20).

أتى القرآن الكريم بنظريتين أساسيتين هما عماد النقد الإسلامي وأصبحا فيما بعد عماد النقد الغربي الحديث والذي تمثله مدرسة يوليوس فلهاوزن أفضل تمثيل، وهاتان النظريتان هما نظرية التحريف والتبديل، ونظرية تعدد المصادر والتي أصبحت أساس النقد المصدري للتوراة وبقية أسفار العهد القديم في القرنين 19 و 20م، وهنا يجب أن نتعامل مع مصطلحي " التحريف والتبديل" على أنهما مصطلحان نقديات ينتميان إلى مجال النقد الأدبي، وتشير المعاني الأساسية لهما في القرآن الكريم إلى الدلالة النقدية الأدبية قبل أن يتحولا في القرآن الكريم وفي المصادر الإسلامية الناقدة للتوراة إلى مصطلحين مفعمين بالدلالة الدينية وهي إحداث التغيير في الدّين، فالعبارة القرآنية في قوله تعالى: ﴿ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾ سورة المائدة، الآية 13 ، تشير إلى حدوث عملية لغوية أدبية أسلوبية تمّ من خلالها تغيّير الدلالة الدّينية، ومعنى الآية الكريمة: يبدّلون الكلم من معناه، والكلم هو التوراة وذلك بتحريفهم التوراة وكتابة ما يرغبون فيها ومحو مالا يرغبون أو تحريفهم بما يتفق وأهوائهم (**شازار**، 2000، **صفحة** 6 ، 7).

كذلك في الآية الكريمة، قوله تعالى:﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾ سورة الفتح، الآية 15، أي يغيّروه، إلى غير المعنى الأصلي الذي أتى به الوحي. وفي النقد الأدبي الحديث تم تفريغ هذه المصطلحات من دلالتها الدّينية وأصبحت مصطلحات نقدية أدبية عامة تطبق على أية نصوص أدبية كانت أو دّينية، أما نظرية المصادر فقد عبرت عنها الآية القرآنية الكريمة، في قوله تعالى ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ سورة النساء، الآية 82. والمعنى المباشر هو أن الاختلاف ينتج عن تعدد المصادر الإنسانية، أما المصدر الواحد وهو الوحي الإلهي فوحدته تمنع الاختلاف والتناقض (**شازار**، 2000، **صفحة** 7)

8. خاتمة

بالرجوع إلى هذا الطرح المتواضع يمكننا ترتيب الاستنتاجات التالية:

- يمكننا القول وعلى حسب ما يذهب إليه العديد من المؤرّخين أنّه من المؤكد أنّ العوامل السياسية هي التي لعبت دورا حاسما في إعادة بناء الماضي المتخيّل لإسرائيل القديمة، وقد تورطت الدراسات التوراتية اللاهوتية في عملية كتابة التاريخ وتزويره منذ القدم. وأنّها هي التي اختلقت جغرافيتها الخاصة، وقصتها الخاصة - في الكثير من جوانب تاريخ اليهود - وذلك في سياق محاولتها بناء رواية معينة للماضي، هذه الرواية بالطبع متأثرة بالعالم السياسي الذي حدد دوافعها بداية، وشكلت بالتالي نظرة المؤرخ للماضي والحاضر.

- حاجة المؤرخون التوراتيون في البحث عن "إسرائيل القديمة" ومن ثمّة تأكيد وجودها، واعتبارها منبع الحضارة الغربية ومعينها الديني، ذلك كاستجابة لمطلب اللاهوت المسيحي اليمني المتطرف في سياق بحثه عن جذور خصوصيته في المجتمع الذي أنتج التوراة العبرية نفسها وقد تعزز هذا الاتجاه مع تأسيس دولة إسرائيل الحديثة، مما ولّد حجتها في البحث عن هويتها الوطنية في الماضي السحيق (**الغني**، 2011).

- يعطي اليهود اليوم أهمية بالغة للبحث التاريخي في محاولة منهم لإضفاء الشرعية التاريخية على أطروحاتهم المستمدة من التوراة (المحرّفة) وبخاصة تلك المبنية على أساطير باطلة لا يقبلها العقل ولا المنطق وهذا لأجل غايتهم التاريخية التي يسعون إلى تحقيقها ألا وهي أرض الميعاد المقدّسة.

- وفي رحلة البحث عن هذا المجد الضائع فان الدوائر الغربية بما فيها الجامعات الأوربية والأمريكية ما فتئت تدعم هذه النظرة المزعومة من خلال الأبحاث الأثرية المغلوطة في فلسطين لتقديم ولو دليل واحد على أسطورة الأرض الموعودة وأسطورة الهيكل المزعوم، مستندة في ذلك إلى أطروحات توراتية وأدلة لغوية مفبركة لم تتطابق مع الحفريات الأثرية إلى غاية اليوم ما أنتج إشكالات ابستيمولوجية حول تاريخ المنطقة القديم.

- في الوقت نفسه يلقى هذا الطرح التوراتي - وهو التأريخ

لليهود على جغرافية فلسطين وفق نظرة توراتية أسطورية لا تقبل الشك ولا الجدال بناء على ما جاءت به التوراة المحرفة- الدعم من أطروحات عربية تفتقر إلى المنهج التاريخي الدقيق.

● سؤال يطرح نفسه بإلحاح: هل يمكن إلغاء كل الأطروحات التوراتية فيما تعلق بتاريخ فلسطين والمنطقة العربية أم أنّ جزء منها حقيقة ثابتة مادام أنّ اليهود كانوا عبر التاريخ امّة قائمة بذاتها؟ خاصة وأنّ نصوص القرآن الكريم التي لا يرق الشكّ عالجت الكثير من القضايا المتعلقة بتاريخهم.

● من القصص المتعلقة بتاريخ اليهود ما يحتاج إلىقرائن آركيولوجية ومفاتيح زمنية وهي المؤكّدة بنصّ القرآن الكريم: مثل قصة الطوفان، قصص تاريخ الأنبياء عليهم السلام، كقصة سيدنا إبراهيم، سيدنا يعقوب، سيدنا يوسف، سيدنا موسى، سيدنا داوود وسليمان، إضافة إلى قصص الخروج من مصر والتيه،...وقصص أخرى جاءت في التوراة وورد ذكرها في القرآن الكريم.

● يجب نقد المناهج والحجج البديلة للمناهج التوراتية الكلاسيكية فلا يمكن إلغاء بعض القصص والروايات (والتي تمّ الإشارة إليها سالفا) من مسرح الأحداث العالمي كما يدعي بعض المؤرخين الذين تبنوا مناهج نقد العهد القديم، خاصة وأنّ الكثير من القصص التوراتية ثابتة من حيث الأصل بنصّ القرآن الكريم - في وقت تبقى الرواية التوراتية لهذه القصص يكتنفها التحريف والتزوير -مع العلم أنّ العديد من الأطروحات التوراتية واهية تاريخيا وآركيولوجيا وباطلة دينيا.

● من هذا المنطلق علينا إعادة النظر في التاريخ التوراتي وإعادة قراءته بمنهج جديد يعتمد على المقارنة اللغوية والمقاربة الجغرافية والقرائن الآركيولوجية، هذا يعني بناء تصورات جديدة للتاريخ التوراتي، في وقت يشكّك فيه أغلب باحثي التاريخ القديم في جغرافية العهد القديم، خاصة أنّ هناك بعض الادعاءات الدّينية والتاريخية الباطلة تجد ما يدعمها في نصوص العهد القديم وتفسيراتها المغلوطة أفرزت بدورها تاريخ أسطوري مفبرك، يعيش الآن أزمة منهج حادة ومغالطة ابستيمولوجية.

● - وعليه يمكننا القول: أنّ نقد التاريخ التوراتي الأسطوري لا يستدعي إلغاءه من الأساس كما يدّعيه بعض المؤرخين الذّين رفضوا جملة وتفصيلا الكثير من القصص والقضايا الثابتة بنصّ القرآن الكريم والأحاديث النبوية، وإنّما وجب إخضاعها للمعالجة النصّية والمقاربة الجغرافية والقرائن الآركيولوجية والمقارنة اللغوية والتمحيص والتدقيق التاريخي.

● في الوقت ذاته وجب التمييّز عند دراسة العهد القديم بين ما هو أسطوري خرافي وبين ما هو تاريخي واقعي من جهة، ومن جهة ثانية التميّيز بين ما هو أدبي شعبي تراثي وبين ما هو نصّ ديني أو كان نصا دينيا في الأصل.

تضارب المصالح

يعلن المؤلفون أنه ليس لديهم تضارب في المصالح.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

1. ابراهيم الفني. (2009). التوارة تاريخا -أثريا- دينا. الأردن: اليازوري للنشر والتوزيع.

2. أحمد الدبش. (2007). موسى وفرعون في جزيرة العرب (الإصدار 2). دمشق: دار خطوات.

3. أحمد الدبش. (2009). كنعان وملوك بني إسرائيل في جزيرة العرب (الإصدار 2). دمشق: خطوات للنشر والتوزيع.

4. أحمد الدبش. (2013). اخطتاف أورشليم (الإصدار 1). سورية: النايةة للدراسات والنشر.

5. إسرائيل فنكلشتاين وفيل أشر سيلبرمان. (2017). التوراة اليهودية مكشوفة على حقيقتها رؤية جديدة لإسرائيل القديمة وأصول نصوصها المقدسة على ضوء اكتشاف علم الآثار (الإصدار 5). (سعد رستم، المترجمون) سوريا: دار صفحات.

6. أسعد السحمراني. (2009). ترجمان الأديان (الإصدار 1). بيروت: دار النفائس.

7. أسماء وردي. (2016). مناهج نقد العهد القديم عند الغرب، النقد المصدري نموذجا (المجلد 1). دمشق: دار صفحات.

8. توماس ل طومسون. (1995). التاريخ القديم للشعب الاسرائيلي (الإصدار 1). (علي صالح سوداح، المترجمون) لبنان: بيسان للنشر والتوزيع.

9. حنا حنا. (2006). دراسات توراتية (الإصدار 2). دمشق: دار رام.

10. زالمان شازار. (2000). تاريخ نقد العهد القديم من أقدم العصور حتى العصر الحديث. (أحمد محمود هويدي، المترجمون) مصر: طبع بالهيئة العامة للشؤون المطابع الأميرية.

11. سلامة عبد الغني. (21 10، 2011). الحوار المتمدن. (دراسات وأبحاث في التاريخ والتراث واللغات) تاريخ الاسترداد 12 05، 2022، من https://www.ahewar.org.

12. عبد الرزاق رحيم صلال. (2014). أرض المعياد في سفر يشوع " دراسة كتابية في الأحوال العقائدية والعسكرية لبني إسرائيل للفترة من -1446 1375 ق.م". مجلة آداب البصرة، صفحة 73.

13. كارم محمود عزيز. (2006). أساطير التوراة الكبرى وتراث الشرق الأدنى القديم (الإصدار 1). مصر: مكتبة النافذة، الجيزة.

14. كمال الصليبي. (1998). التوراة جاءت من جزيرة العرب (الإصدار 6). لبنان: مؤسسة الأبحاث العربية.

15. كيث وايتلام. (1999). ، اختلاق اسرائيل القديمة إسكات التاريخ الفلسطيني. الكويت: عالم المعرفة.

16. لوبون غوستاف. (2009). اليهود في تاريخ الحضارات الأولى (الإصدار 1). (عادل زعيتر، المترجمون) القاهرة: دار العالم العربي.

17. ملاك محارب. (بلا تاريخ). دليل العهد القديم، مكتب النسر للطباع.

18. نهى كمال سيد عبد الغفار. (2016). نقد العهد القديم بين لإسلام والعلمانية، ابن حزم، ريبنان (الإصدار 1). القاهرة: دار الأفاق العربية.

19. هشام محمد أبو حاكمة. (2014). تاريخ فلسطين قبل الميلاد. عمان: اليازوري.

20finkelstein. i. (2013). the forgotten kingdom . the archaeology and history of northern israel. atlanta: society of biblical literature.

ـ كيفية الإستشهاد بهذا المقال حسب أسلوب APA

أحمد رقاد وآخرون (2023)، التاريخ التوراتي وإشكالات المنهج "مقاربات في تاريخ اليهود القديم"، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، المجلد15، العدد 01، جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف، الجزائر، ص. ص : 21-34